

مجمع الأمثال

3836 - مَرْعَىَّ وَلَا كَالسَّعْدَانِ .

قَالَ بعض الرواة : السَّعْدَانِ أَخْثَرُ الْعُشْبِ لَبْدًا وَإِذَا خَثَرَ لَبْنُ الرَّاعِي (خثر اللبن - كنصر - ثخن واشتد فهو خائر) .

كان [ص 276] أَفْضَلَ مَا يَكُونُ وَأَطْيَبَ وَأَدْسَمَ وَمَنَابِتُ السَّعْدَانِ السَّهولُ وَهُوَ مِنْ أَنْجَعِ الْمَرَاعِي فِي الْمَالِ وَلَا تَحْسُنْ عَلَى نَبْتٍ حُسْنَهَا عَلَيْهِ قَالَ النابغة :
الْوَاهِبُ الْمَائِيَّةَ الْأَبْكَارَ زَيَّنَهَا ... سَعْدَانُ تَوْضِحَ فِي أَوْبَارِهَا
اللابدُ .

يضرب مثلاً للشئ يَفْضُلُ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَشْكَالِهِ .

قَالُوا : وَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَذَلِكَ أَنَّهَا أَقْبَلَتْ مِنَ الْمَوْسِمِ فَوَجَدَتْ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَفَرَجَتْ عَنْهَا وَهِيَ تَنْشُدُهُمْ مِرَاثِي فِي أَهْلِ بَيْتِهَا فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهَا قَالَتْ : عَلَى مَنْ تَبْكِينَ ؟ قَالَتْ : أَبْكَى سَادَةً مَضَوْا قَالَتْ : فَأَنْشِدِينِي بَعْضَ مَا قُلْتَ فَقَالَتْ هِنْدُ :

أَبْكَى عَمُودَ الْإِبْطَاحِينَ كَلَامِيَهُمَا ... وَمَا نَعَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ
يُرِيدُهَا .

أَبُو عُتْبَةَ الْفَيْصَاضِ وَيَحْكُ فَاعْلَمِي ... وَشَبَّيْبَةَ وَالْحَامِي الذِّمَارِ
وَلِيدُهَا .

أَوَّلُكَ أَهْلُ الْعِزِّ مِنْ آلِ غَالِبٍ ... وَلِلْمَجْدِ يَوْمَ حِينَ عُدَّ عَدِيدُهَا .

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ : مَرْعَىَّ وَلَا كَالسَّعْدَانِ فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَبْكَى أَبَا عَمْرٍو بَعْدِيْنَ غَزِيرَةٍ ... قَلِيلَ إِذَا تُغْفَى الْعُيُونُ
رُقُودُهَا .

وَصَخْرَاءُ وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا بَدَا ... بِسَاحَتِهِ الْأَبْطَالُ قُبَّاتٍ
يَقُودُهَا .

حتى فرغت من ذلك فهي أول من قَالَتْ " مَرْعَىَّ وَلَا كَالسَّعْدَانِ " .

ومرعى : خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا مرعى جيد وليس في الجودة مثل السعدان .

وقال أبو عبيد : حكى المفضل أن المثل لامرأة من طيئ كان تزوجها امرؤ القيس بن حُجْر الكندي وكان مُفَرَّكًا فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ أَنَا مِنْ زَوْجِكَ الْأَوَّلِ ؟ فَقَالَتْ :
مَرْعَىَّ وَلَا كَالسَّعْدَانِ أَيِ إِنَّكَ وَإِنْ كُنْتَ رِضًا فَلَسْتَ كَفْلَانِ

